علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم تدعو وتكبر، وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ ثم تكبر وتركع، ثم تقوم وتقرأ وتحمد ربك، وتصلي علىٰ النبي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم تدعو وتكبر، وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك، ثم تكبر وتفعل ذلك، ثم تركع. فقال حذيفة وأبو موسىٰ: صدق أبو عبد الرحمن.

وفي هذا الحديث حمد الله والصلاة علىٰ رسوله بين التكبيرات. وهو مذهب الشافعي وأحمد[(١)]. وأبو حنيفة ومالك يَسْتحبَّان سرد التكبيرات من غير ذكرٍ بينهما[(٢)]. والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعلم.

ص ٥٢١

الباب الرابع

في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

الأولى: امتثالُ أمْر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالىٰ عليه ثناء وتشريف، كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله علىٰ المُصَلِّي عليه مرَّة.

الخامسة: أنه يُرفَع له عشر درجات.

---

(١) انظر: «المجموع» النووي (٥/ ١٥- ١٦)، و«المغني» لابن قدامة (٣/ ٢٧٤).
(٢) انظر: «بدائع الصنائع» (١/ ٤١١)، و«مواهب الجليل» (٢/ ٥٧٢).

السادسة: أنه يُكتَب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يُمْحَىٰ عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يُرجَىٰ إجابة دعائه إذا قدَّمها أمامه، فهي تُصاعد الدعاءَ إلىٰ عند ربِّ العالمين، وكان موقوفًا بين السماء والأرض قبلها.

التاسعة: أنها سببٌ لشفاعته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها.

العاشرة: أنها سببٌ لغفران الذنوب.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبدَ ما أهمَّه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصَّدقة لذي العُسْرَة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله علىٰ المصلِّي وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاةٌ للمصلي وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سببٌ لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنَّجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشرة: أنها سبب لِردِّ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الصلاةَ والسلامَ علىٰ المصلي

والمُسلِّم عليه.

العشرون: أنها سبب لتَذَكُّر العبد ما نَسِيَه.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وألا يعود حَسْرةً علىٰ أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر.

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسمَ البُخل إذا صلَّىٰ عليه عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدُّعاء عليه برَغْمِ الأنْف إذا تَرَكها عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمي صاحبها علىٰ طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجي من نَتَنِ المجلس الذي لا يُذكَرُ فيه اللهُ ورسولُه، ويُحمَدُ اللهُ تعالىٰ ويُثنَىٰ عليه فيه، ويُصلَّىٰ علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثامنة والعشرون: أنها سببٌ لوُفور نور العبد علىٰ الصِّراط.

التاسعة والعشرون: أنه يخرج بها العبدُ عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإلقاء الله سبحانه الثناءَ الحسنَ للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالبٌ من الله أن يثني علىٰ رسوله ويُكرمه ويُشَرِّفه، والجزاءُ من جنس العمل، فلا بُدَّ أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب البركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه، لأن المصلي داعٍ ربَّه أن يبارك عليه وعلىٰ آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة إما بمعنىٰ الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجَباتها علىٰ القول الصحيح، فلا بدَّ للمصلي عليه من رحمةٍ تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبَّته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيادتها وتضاعُفِها، وذلك عَقْد من عقود الإيمان الذي لا يَتِمُّ إلا به، لأن العبد كلَّما أكثر من ذكرِ المحبوب واستحضارِه في قلبه، واستحضارِ محاسنه ومعانيه الجالبة لحُبِّه، تضاعَفَ حبُّه له وتزايد شوقُه إليه، واستولىٰ علىٰ جميع قلبه.

ودوام الذكر لمَّا كان سببًا لدوام المحبة، وكان اللهُ سبحانه أحقَّ بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال، كان كثرةُ ذكره من أنفعِ ما للعبد، وكان عدوُّه حقًّا هو الصادَّ له عن ذكر ربه عَزَّوَجَلَّ وعبوديته؛ ولهذا أَمَرَ الله سبحانه بكثرة ذكره في القرآن وجعله سببًا للفلاح، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

[الأحزاب: ٤١] وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَبَقَ المُفرِّدُون**» قالوا: يا رسول الله وما المُفرِّدُون؟ قال: «**الذَّاكِرُون اللهَ كثيرًا والذَّاكرات**»[(١)].

وفي الترمذي[(٢)] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ألا أدلُّكم علىٰ خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق، وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**ذِكرُ الله تعالىٰ**». وهو في «الموطأ» موقوف علىٰ أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما عمل آدميٌّ عملًا أنجىٰ له من عذاب الله مِن ذكر الله»[(٣)] وذِكرُ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبعٌ لذكره.

والمقصود: أنَّ دوامَ الذِّكْر سببٌ لدوام المحبَّة، فالذِّكْر للقلب كالماء للزَّرع، بل كالماء للسَّمك، لا حياةَ له إلا به.

وهو أنواع:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).

(٢) برقم (٣٣٧٧)، وأخرجه أيضا ابن ماجه (٣٧٩٠). والصواب أنه موقوف كما في «الموطأ» برقم (٥٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وسنده منقطع.

- ذكْرُه بأسمائه وصفاته، والثَّناء عليه بها.

- الثاني: تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله وتمجيده، وهو الغالب من استعمال لفظ الذِّكر عند المتأخِّرين.

- الثالث: ذِكْرُه بأحكامه وأوامره ونواهيه، وهو ذِكْرُ أهل العلم، بل الأنواع الثلاثة هي ذِكْرُهم لربِّهم.

ومن أفضل ذِكرِه ذِكرُه بكلامه، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] فذِكْرُهُ هنا كلامُه الذي أنزله علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

- ومن ذِكْره سبحانه دعاؤه واستغفاره والتَّضرُّع إليه.

فهذه خمسة أنواع من الذِّكْر.

الفائدة الرابعة والثلاثون: أن الصَّلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَبٌ لِمَحبَّته للعبد، فإنها إذا كانت سببًا لزيادة محبَّة المصلِّي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخامسة والثلاثون: أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كُلَّما أكثر الصَّلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكره، استَولَتْ محبتُه علىٰ قلبه، حتىٰ لا يبقىٰ في قلبه معارضةٌ لشيءٍ من أوامره، ولا شكٌّ في شيء ممَّا جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا

في قلبه، لا يزال يقرؤه علىٰ تعاقب أحواله، ويَقْتَبِس الهُدَىٰ والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلَّما ازداد في ذلك بصيرةً وقُوَّةً ومعرفةً، ازدادت صَلاتُه عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولهذا صلاةُ أهل العلم العارفين بسُنَّته وهدْيه المتَّبِعين له، عليه، خلافُ صلاة العوام عليه، الذين حَظُّهم منها إزعاجُ أعضائهم بها ورفع أصواتهم، وأما أتباعه العارفون بسنته العالِمُون بما جاء به، فصلاتهم عليه نوعٌ آخر، فكُلَّما ازدادُوا فيما جاء به معرفةً، ازدادوا له محبَّةً ومعرفةً بحقيقة الصَّلاة المطلوبة له من الله تعالىٰ.

وهكذا ذِكْرُ الله سبحانه، كلَّما كان العبدُ به أعرفَ، وله أطْوعَ، وإليه أحبَّ، كان ذِكْرُه غيرَ ذِكرِ الغافلين اللَّاهِين، وهذا أمر إنَّما يُعلَم بالخُبْرِ لا بالخَبَرِ، وفرقٌ بين مَنْ يذكر صفاتِ محبوبه الذي قد مَلَك حُبُّه جميع قلبه، ويثني عليه بها ويمجِّده بها، وبين مَن يَذكُرُها إمَّا إثارةً وإما لفظًا، ولا يدري ما معناه، لا يطابق فيه قلبُه لسانَه، كما أنه فرقٌ بين بكاء النَّائِحة وبكاء الثَّكْلَىٰ.

فذِكرُه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وذِكْرُ ما جاء به، وحمدُ الله تعالىٰ علىٰ إنعامه علينا ومنِّه بإرساله، هو حياة الوجود وروحه، كما قيل:

رُوحُ المجالس ذِكرُه وحَدِيثُه ... وهُدًى لِكُلِّ مُلَدَّدٍ حَيْرَانِ
وإذا أُخِلَّ بِذِكْرِه في مَجْلِسٍ ... فأُولئكَ الأمْوَاتُ فِي الجَبَّان[1]

السادسة والثلاثون: أنها سبب لِعَرْض اسْم المُصلِّي عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وذكره عنده، كما تقدم قولُه: «**إن صلاتكم معروضة علي**» وقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله**

(١) للصرصري في «ديوانه» رقم (٣٧٧، ٤٧٧). والجَبَّان: المقبرة.

وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام» وكفىٰ بالعبد نُبْلًا أن يُذكَر اسمُه بالخير بين يَدَي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وقد قيل في هذا المعنىٰ:

ومَـن خَطَـرَتْ منـه بِبالِـك خَطْرَةٌ حَقِيقٌ بـأن يَسْمُو وأنْ يتَقَدَّمَا

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم علىٰ الصراط والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفيه: «**ورأيت رجلًا من أُمَّتي يزحف علىٰ الصراط، ويَحبُو أحيانًا ويتعلَّق أحيانًا، فجاءَتْه صلاتُه عليَّ فأقامَتْه علىٰ قدميه وأنقذته**»[1].

رواه أبو موسىٰ المديني، وبنىٰ عليه كتابه في «الترغيب والترهيب» وقال: «هذا حديث حسن جدًّا».

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أداءٌ لأقل القليل من حَقِّه، وشكرٌ له علىٰ نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يُحصىٰ علمًا ولا قدرةً ولا إرادةً، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمِّنة لذِكْر الله تعالىٰ وشكره، ومعرفةِ إنعامه علىٰ عبيده بإرساله، فالمصلي عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد تضمَّنَتْ صلاتُه عليه ذِكْرَ الله وذكرَ رسوله، وسؤالَه أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهلُه، كما عرَّفَنا ربَّنا وأسماءَه وصفاتِه،

---

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب والترهيب» برقم (٥٢٦)، وهو حديث ضعيف. انظر: «العلل المتناهية» (١١٦٥، ١١٦٦).

وهدانا إلىٰ طريق مرضاته، وعرَّفَنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضَمِّنة للإقرار بوجود الربِّ المَدْعُوِّ، وعلمِه وسمعِه وقدرتِه وإرادتِه وحياتِه وكلامِه، وإرسالِ رسوله، وتصديقِه في أخباره كلها، وكمالِ محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.

الأربعون: أن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العبد هي دعاء، ودعاءُ العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجَه ومهمَّاتِه وما ينوبه في الليل والنَّهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثارٌ لمحبوب العبد ومطلوبه.

والثاني: سؤاله أن يثني علىٰ خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإشادةِ ذِكْره ورفعه، ولا ريب أن الله تعالىٰ يحبُّ ذلك، ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبه، فالمصَلِّي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلىٰ محابِّ الله تعالىٰ ورسوله، وآثر ذلك علىٰ طلبه حوائجَه ومحابَّهُ هو، بل كان هذا المطلوبُ من أحبِّ الأمور إليه وآثرِها عنده، فقد آثر ما يحبُّه الله ورسوله علىٰ ما يحبُّه هو، فقد آثر الله ومحابَّه علىٰ ما سواه، والجزاءُ من جنس العمل، فمن آثر الله علىٰ غيره آثره الله علىٰ غيره.

ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا هذا المطلوب وحده لكفىٰ المؤمن به شَرَفًا.

وهاهنا نكتة حسنة لمن عَلَّم أمته دِينَه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضَّهم عليه، وصبر علىٰ ذلك، وهي أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ له من الأجر الزائد علىٰ أجر عمله مثلُ أجور من اتبعه، فالداعي إلىٰ سنته ودينه، والمعلِّم الخير للأُمَّة إذا قصد توفير هذا الحظ علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصرفَه إليه، وكان مقصودُه بدعاء الخلق إلىٰ الله التقربَّ إليه بإرشاد عباده، وتوفيرَ أجورِ المطيعين له علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مع توفيتهم أجورَهم كاملةً، كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحسب هذه النِّيَّة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.